﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [إبراهيم: 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إيـجـاز الآيـة الأخـيرة لعلّة أحكام السّورة

اشتَمَلت هذه السّورةُ على كثير من المواعظِ والأمثالِ والحِكَم الَّتي أبكَمَت البُلَغاءَ، وأخرَسَت ألسنة الفُصَحاء، وبَهَرت العُقولَ؛ تَرجَمَها سُبحانَه بما يصلُحُ عُنوانًا لجميعِ القُرآنِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَلَٰغٌ﴾: أصْلُ (بلغ): يدلُّ على لُحوقِ الشَّيْءِ والوُصولِ إليه أو المُشارَفَةِ عليه[2]، يُقالُ: بَلَغْتُ المَكانَ بُلوغًا، أي: وصَلْتُ إليه، وكذلك إذا شارَفْتُ عليه[3]. والبَلاغُ: الاسْمُ منَ الإبْلاغ والتَّبْليغ، وهُما: الإيصالُ، يُقالُ: أبْلَغَهُ الخَبَرَ إبْلاغاً، وبَلَّغَهُ تَبْليغاً، والثّاني أكْثَرُ[4]، والبَلاغُ أيضًا: ما يُتَبَلَّغُ بِهِ ويُتَوَصَّلُ إلى الشَّيْءِ المَطْلوبِ، والبَلاغُ كذلك: الكِفايةُ؛ وتَقولُ: لَهُ في هَذا بَلاغٌ وبُلْغةٌ وتَبَلُّغٌ، أي: كِفايةٌ، والمبالغةُ: أن تبلغ من العَمَل جهدَك[5]، وبَلَغَ الغُلامُ: أدْرَكَ، والمقصودُ بالبَلاغِ في الآيةِ: اسْمُ مَصْدَرِ التَّبْليغِ، أيْ هَذا المِقْدارُ مِنَ القُرْآنِ في هذهِ السّورَةِ تَبْليغٌ لِلنّاسِ كُلِّهم[6].

2) ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾: أصْلُ (نذر): يَدُلُّ على تَخْويفٍ أو تَخَوُّفٍ، ومنه الإنْذارُ: الإبلاغُ؛ ولا يَكادُ يَكونُ إلّا في التَّخويفِ[7]. والإنْذارُ:

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 10/441.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة: (بلغ).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (بلغ).
(4) الزبيدي، تاج العروس: (بلغ).
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة: (بلغ).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/254.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).

إخبارٌ فيه تخويف، كما أنّ التّبشير إخبار فيه سرور. والنَّذِيرُ: المنذر، ويقع على كلِّ شيءٍ فيه إنذار، إنسانًا كان أو غيرَهُ[1]. والتَّناذُرُ: إنْذارُ بَعْضِهم بَعْضًا[2]. وَمِنْهُ النَّذْرُ، وَهوَ أنَّهُ يَخافُ إذا أخْلَفَ، والنَّذْرُ أيْضًا: ما يَجِبُ، كَأنَّهُ نُذِرَ، أيْ أوجِبَ[3]. والمقصود بالإنْذارِ في الآية: الإخبارُ بما فِيهِ تَوَقُّعُ ضُرٍّ.

3) ﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾: أصلُ الذِّكْرِ: الحِفْظُ الَّذي تَذْكُرُه، وهو خِلافُ النِّسيان[4]، ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسانِ، فالذِّكْرُ ما ذَكَرْتَهُ بِلِسانِكَ وأظهرته. والذُّكْرُ - بضَمِّ الذّال - بِالْقَلْبِ. يُقالُ: ما زالَ مِنِّي عَلَى ذُكْرٍ، أي: لَمْ أنْسَه[5]، والتَّذكِرَةُ: ما تُسْتَذْكَرُ بِهِ الحاجَةُ. واسْتَذْكَرَ الشَّيءَ: دَرَسَهَ للذِّكْرِ. والاسْتِذْكارُ: الدِّراسَةُ لِلْحِفْظِ، والتَّذَكُّر: تَذَكُّرُ ما أُنسيته[6]، والمقصود بالتَّذَكُّرِ في الآية: النَّظَرُ في أدِلَّةِ صدق الرَّسول - ﷺ - وَوُجُوبُ اتِّباعِهِ، وَلِذَلِكَ خُصَّ بِذَوِي الْأَلْبابِ[7]، وأصْلُهُ يَتَذَكَّر، فَأُدْغِمَ التّاءُ في الذّالِ لِتَقارُبِ مَخْرَجَيْهِما.

4) ﴿أُوْلُواْ﴾: أولوا بِمَعْنَى ذَوو لا يُفْرد لَهُ واحِدٌ ولا يُتَكَلَّمُ بِهِ إلّا مُضافًا، كقولك: أولوا بأْسٍ شَدِيدٍ وأولوا كَرَمٍ، كأنَّ واحِدَهُ أُلٌ، والواو لِلجَمْعِ، ألا تَرى أنَّها تَكونُ في الرَّفعِ واواً وفي النَّصْبِ والْجَرِّ ياءً؟[8]، وقيل: أوْلو، والمُؤَنَّثُ أوْلاتُ، والواحِدُ: ذو[9]، وأُلات للإناث واحِدَتُها ذاتٌ، تَقولُ: جاءَني أولو الألباب وأولات الأحْمال[10]. ولا يُقال إلّا للجميع من النّاس وما يشبهه[11]. والمقصود بأولو في الآية: ذوو، بمعنى أصحاب.

5) ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصلُ (لبّ): يَدُلُّ على خُلوصٍ وَجَوْدَةٍ[12]، ومنه اللُّبُّ: العَقْلُ الخالص من الشّوائب؛ وسُمِّي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان مِن معانيه، كاللُّبابِ واللُّبِّ من الشَّيء،

(1) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نذر).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة: (نذر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، والمحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(5) أبو عمرو الشيباني، الجيم، وابن دريد، جمهرة اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذكر).
(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذكر).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/255.
(8) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (ألل).
(9) ابن عباد، المحيط في اللغة: (ألل).
(10) الجوهري، الصحاح: (ألل).
(11) الخليل، العين: (ألل).
(12) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لب).

وقيل: هو ما زكى مِنَ العَقْلِ، فكلُّ لبٍّ عَقْل وليس كلّ عقل لبًّا[1]، ورَجُلٌ لَبِيبٌ، أيْ عاقِلٌ، وَقَدْ لَبَّ يَلُبُّ، وَخالِصُ كُلِّ شَيْءٍ لُبابُهُ[2]. والمقصودُ بالألْبابِ في الآية: العُقولُ، وأولو الألْبابِ: هُمْ أهلُ العُقولِ الصَّحِيحَةِ[3].

❁ المَعْنى الإجْمالِيُّ:

القرآن وما فيه من عظات تبليغ للنّاس وعِظة، وإنذار من عقاب الله ﷻ

ختم اللّه تعالى السّورة الكريمة بقوله: هذا القُرآنُ تَبليغٌ مِن اللّهِ تعالى إلى جميعِ النّاسِ؛ لإقامةِ الحُجَّةِ عليهم، والإعذارِ إليهم، وهو كفايةٌ لهم في الموعظةِ والتذكيرِ، وبه يتبلَّغونَ، ويتزوَّدونَ للوُصولِ إلى أعلى المَقاماتِ والدَّرَجاتِ، وأنزَلْنا القُرآنَ ليُخَوَّفَ النّاسُ به عِقابَ اللّهِ، ويُحَذَّروا من نقمتِه، وليعلمَ النّاسُ بحُجَجِ القرآنِ وبَراهينِه أنَّ اللّهَ المعبودَ بحَقٍّ إلهٌ واحِدٌ، لا يستحِقُّ غيرُه العبادةَ، وليتذَكَّرَ ويتَّعِظَ أصحابُ العُقولِ السَّليمةِ بهذا القرآنِ، فيَهتَدوا إلى العمَلِ بما ينفَعُهم، وتَرْكِ ما يضُرُّهم[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

تصدير الجملة باسم الإشارة ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ﴾:

اسم الإشارة يوجز المعاني ويكْتَنِزها

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السّورَةُ عَلى الكثير مِن المَواعِظ والأمْثال والحِكَم الَّتي أبْكَمَتِ البُلَغاءَ، وأخْرَسَتِ الفُصَحاءَ، وبَهَرَتِ العُقولَ، وجاء التَّعبير باسم الإشارة في الجملة؛ لِيَكْتَنِز هذه المعاني ويوجزها، ويَسْتحضرها، ويشير إليها وكأنَّها شاخصة "بما يَصْلُحُ أن يكون عُنْوانًا لجَمِيعِ القُرْآنِ فَقالَ: ﴿هَٰذَا﴾ أي الكِتاب الَّذي يُخْرِجُ النّاس مِنَ الظُّلُماتِ إلى النّورِ"[5].

(1) الراغب، المفردات: (لب).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لب).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/351.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 13/747، والرازي، مفاتيح الغيب: 19/114، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/386، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 428.
(5) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 10/441.

وقد اختَلَف المُفَسِّرون في توجيه المُشار إليه، فَقِيلَ: إنَّ قَوْلَهُ: ﴿هَٰذَا﴾ إشارَةٌ إلى القُرْآنِ الكريم، وقِيلَ: إشارَةٌ إلى هَذِهِ السّورَةِ. وقِيلَ: إشارَةٌ إلى المَذْكورِ مِن قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾ إلى ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: 42 - 51][1].

إيثار لفظ ﴿بَلَٰغٌ﴾ على (بيان):

ومَعْنى ﴿بَلَٰغٌ﴾: كِفايَةٌ في الوَعْظِ والتَّذْكِيرِ، ولِيُنْذَروا بِهِ[2].

قـوَّة الـبـلاغ، وشِدَّة تأثيره

وأوثر التَّعبيرُ بالبلاغ على البيان؛ لدلالته على الوُصول والقَصْد، وشدَّة التَّأثير، والقوَّة.

سِرُّ تنكير ﴿بَلَٰغٌ﴾:

وتنكيرُ بلاغ للتَّعظيم؛ حيث ذُكِرتْ ثلاثُ فوائدَ لهذا البلاغِ العظيم، وهي الإنذار في قوله: ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾، والعِلْم بوحدانيَّة اللّه تعالى في قوله: ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، وتَذَكُّر أصحاب العقول، وذلك في قوله: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

الـتَّـأكـيـد على عظمة الـقـرآن الـكـريـم، وهـذا البلاغ المُبِين

وهذا يُؤَكِّد على عظمة القرآن الكريم، وهذا البلاغ المُبين.

معنى لام التعريف، ونوعها في ﴿لِّلنَّاسِ﴾:

اللّامُ في ﴿لِّلنَّاسِ﴾ للاستغراق؛ لِيَشْمل هذا البلاغ جميع النّاس؛ فقد بَيَّنَ اللّه تعالى في هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَة أنَّ "هَذا القُرْآنَ بَلاغٌ لِجَمِيع النّاسِ، وأوْضَحَ هَذا المَعْنى في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: 19]. وبَيَّنَ أنَّ مَن بَلَغَهُ ولَمْ يُؤْمِن بِهِ فَهو في النّارِ كائِنًا مَن كانَ، في قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ﴾ الآيَةَ" [هود: 17][3].

هَذا القُرْآن بَلاغٌ لِجَمِيع النّاسِ

(1) الرّازيُّ، مفاتيح الغيب: 19/153.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/.453.
(3) الشِّنقيطيّ، أضواء البيان: 3/136.

دلالة الواو، ونوع اللّام في: ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾:

الـــواو عـاطـفـة واللّام للتّعليل

الواو في ﴿وَلِيُنذَرُواْ﴾ عاطفة، واللّام للتّعليل، والفعل معطوف عَلى كَلامٍ محذوف يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفظُ ﴿بَلَٰغٌ﴾، والتّقدير: لِيُنْصَحوا ويُحذَّروا، وفي هذا الفعل أوجهٌ، أحدُها: أنَّه متعلِّقٌ بمحذوفٍ؛ أيْ: ولْيُنْذَروا بِما أنْزَلْنا عليك.

الثّاني: أنه معطوفٌ على محذوفٍ، ذلك المحذوفُ ومتعلّقها قٌ بـ ﴿بَلَٰغٌ﴾، تقديره: لِيُنْصَحوا ولِيُنْذَروا. الثّالث: أنه محمولٌ على المعنى؛ أيْ: لِيُبَلَّغوا ولِيُنْذَروا. الرّابع: أنَّ اللّامَ لامُ الأمر[1].

سِرُّ بناء الفعل للمفعول:

الدّلالة على تميُّز القرآن عن كلّ كلام وأثره في النُّفوس

بُنِيَ الفعل ﴿وَلِيُنذَرُواْ﴾ للمفعول؛ لأنَّ القَصْد الإنذار من أي مُنْذِرٍ كان، وفَصَّل البِقاعيُّ هذا السِّرَ بقوله: "ولَمّا كانَ مُتَعَلِّقُ البَلاغِ الَّذي قُدِّرَتْهُ بالوُصولِ يَتَضَمَّنُ البِشارَةَ، عَطَفَ عَلَيْهِ النِّذارَةَ بانِيًا لِلْمَفْعولِ، لِأنَّ النّافِعَ مُطْلَقُ النِّذارَةِ، وكُلُّ أحَدٍ مُتَأهِّلٌ لِأنْ يَكونَ واعِظًا بِهِ مَقْبولًا، لِأنَّ مَن سَمِعَهُ فَكَأنَّما سَمِعَهُ مِنَ اللّه لِتَمَيُّزِهِ بِإعْجازِهِ عَنْ كُلِّ كَلامٍ، فَقالَ: ﴿وَلِيُنذَرُواْ﴾ أيْ مِن أيِّ مُنْذِرٍ كانَ فتقوم عليهم الحجّةُ[2].

دلاله الضَّمير في ﴿بِهِۦ﴾، ومرجعه:

الضَّمير المجرور في ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ فِيهِ وجْهانِ: أحَدُهُما: بِالرَّسولِ، والثّاني: بِالقُرْآنِ[3]، وهو الأرجح؛ لدلالة السِّياق عليه.

عِلَّة تقديم جُملة ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾:

الْـخَـشْـيَـةُ أُمُّ الْخَيْرِ كُلِّهِ

قُدِّمت جملة الإنذار ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ على جملة ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ﴾؛ لِأنَّهم إذا خافوا ما أُنْذِروا بِهِ؛ دَعَتْهُمُ الْمَخافَةُ إلى النَّظَرِ حَتَّى يَتَوَصَّلوا إلى التَّوْحِيدِ؛ لِأنَّ الْخَشْيَةَ أُمَّ الْخَيْرِ كُلِّهِ ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ

(1) السّمين الحلبيُّ، الدُّرُّ المصون: 7/134.
(2) البِقاعيُّ، نظم الدُّرر: 10/443.
(3) الماورديُّ، النُّكت والعُيون: 3/146.

﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أيْ: لِيَتَّعِظَ بِهِ ذَوو الْعُقولِ، فَيُقْبِلوا عَلى ما فِيهِ نَجاتُهم وسَعادَتُهم[1].

بلاغة القصر في: ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾:

البَقصر يُؤَكِّد وحدانيَّة الله تعالى، ويَنْفي التَّعَدُّدَ بالكَثْرَةِ أوِ التَّثْليث

بَيَّنَ اللّه تعالى في هَذِهِ الآيَةِ الكَريمَةِ أنَّ من حِكَمِ إنْزالِ القُرْآنِ العَظيمِ العِلْمَ بِأنَّهُ تَعالى إلَهٌ واحِدٌ، وأنَّ من حِكَمِهِ أنْ يَتَّعِظَ به أصْحابُ العُقولِ."والمَعْنى: ولِيَعْلَموا مِمّا ذُكِرَ فِيهِ مِنَ الأدِلَّةِ ما اللّه إلّا إلَهٌ واحِدٌ، أيْ: مَقْصورٌ عَلى الإلَهِيَّةِ المَوَحَّدَةِ، وهَذا قَصْرٌ مَوْصوفٌ عَلى صِفَةٍ وهو إضافِيٌّ، أيْ: أنَّهُ تَعالى لا يَتَجاوَزُ تِلْكَ الصِّفَةَ إلى صِفَةِ التَّعَدُّدِ بالكَثْرَةِ أوِ التَّثْليثِ، كَقَوْلِهِ ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ [النّساء: 171]"[2].

مُناسبة قوله: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ لسياق الآية:

التَّذكيرُ بِهَذِهِ المَواعِظِ والنَّصائِحِ يوجِبُ الوُقوفَ عَلى التَّوْحيدِ

أشار السِّياق السّابق إلى أنَّ التَّذْكيرَ بِهَذِهِ المَواعِظِ والنَّصائِحِ يوجِبُ الوُقوفَ عَلى التَّوْحِيدِ والإقْبالَ عَلى العَمَلِ الصّالِحِ، واجتناب العمل الطّالح، بيان ذلك أنَّ المَرْءَ إذا سَمِعَ هَذِهِ المَواعظ والتَّخْويفاتِ والتَّحْذيراتِ؛ اشتَدَّ خَوْفُه، وعَظُمَ وَجَلُه، واشْتَغَلَ بالنَّظَرِ والتَّأمُّلِ، فَوَصَلَ إلى مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ والنُّبوَّةِ واشْتَغَلَ بالأعْمالِ الصّالِحَةِ[3].

علّة اختصاص أولى الألباب بالذِّكْر، وختْم الآية بها:

أولو الألباب هُم الَّذِينَ ينتفعون بالتَّذَكُّرِ

خُصَّ أولو الألباب بالذِّكْر؛ لِأنَّهم هُم الَّذينَ ينتفعون بالتَّذَكُّرِ، وتَظْهر آثاره فيهم.

"والتَّذَكُّرُ: النَّظَرُ في أدِلَّةِ صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ ووُجوب اتِّباعِهِ؛ ولِذَلِكَ خُصَّ بِذَوِي الألْبابِ تَنْزِيلًا لِغَيْرِهِمْ مَنزِلَةَ مَن لا عُقولَ لَهم ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤﴾ [الفرقان: 44] "[4].

(1) الزّمخشريُّ، الكشّاف: 3/395.
(2) ابن عاشور، التّحريروالتّنوير: 13/255.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب:/19/154.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/255.

سِرُّ ترتيب الصِّفات الواردة في الآية الكريمة:

ترتيب الصِّفات تَرتيبًا عقليًّا بِحَسْبِ حُصولِ بَعْضِها عَقِبَ بَعْض

رُتِّبَتْ صِفاتُ الآياتِ المُشارِ إلَيْها باسْمِ الإشارَةِ عَلى تَرْتِيبٍ عَقْلِيٍّ بِحَسْبِ حُصولِ بَعْضِها عَقِبَ بَعْضٍ، فابْتُدِئَ بِالصِّفَةِ العامَّةِ وهي حُصولُ التَّبْلِيغِ، ثُمَّ ما يَعْقُبُ حُصولُ التَّبْلِيغِ مِنَ الإنْذارِ، ثُمَّ ما يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ العِلْمِ بِالوَحْدانِيَّةِ لِما في خِلالِ هَذِهِ السّورَةِ مِنَ الدَّلائِلِ، ثُمَّ بِالتَّذْكِيرِ في ما جاءَ بِهِ ذَلِكَ البَلاغُ وهو تَفاصِيلُ العِلْمِ والعَمَلِ، وهَذِهِ المَراتِبُ هي جامِعُ حِكْمَةِ ما جاءَ بِهِ الرَّسولُ ﷺ مُوَزَّعَةً عَلى مَن بَلَّغَ إلَيْهِمْ، ويَخْتَصُّ المُسْلِمونَ بِمَضْمونِ قَوْلِهِ ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

عَلاقة خاتمة السّورة بِأوَّلِها:

هـذا البَـلاغ هو الكِتاب العزيز الَّـذي أنزله الله تـعـالى عـلى رسوله ﷺ

جاء قوله ﷻ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ في خاتمة السّورة ناظرًا إلى أوَّلها ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم: 1]؛ حيثُ إنَّ هذا البَلاغ هو الكتاب العزيز الّذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ؛ لِيُخرِج النّاس من الظُّلمات إلى النّور.

وقد بَيَّن الفخرُ الرّازيُّ تلك العَلاقة بقوله: "أمّا أوَّلُ هَذِهِ السّورَةِ فَهو قَوْلُه تَعالى: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: 1] فَإنّا قَدْ ذَكَرْنا هُناكَ أنَّ هَذا يَدُلُّ عَلى أنَّ المَقْصودَ مِن إنْزالِ الكِتابِ إرْشادُ الخَلْقِ كُلِّهِم إلى الدِّينِ والتَّقْوى ومَنعُهم عَنِ الكُفْرِ والمَعْصِيَة، وأمّا آخِرُ السّورَةِ فَلِأنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يَدُلُّ عَلى أنَّه تَعالى إنَّما أنْزَلَ هَذِهِ السّورَةَ، وإنَّما ذَكَرَ هَذِهِ النَّصائِحَ والمَواعِظَ لِأجْلِ أنْ يَنْتَفِعَ الخَلْقُ بِها فَيَصيروا مُؤْمِنِينَ مُطيعِينَ ويَتْرُكوا الكُفْرَ والمَعْصِيَةَ، فَظَهَرَ أنَّ أوَّلَ هَذِهِ السّورَةِ وآخِرَها مُتَطابِقانِ في إفادَةِ هَذا المَعْنى[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/255.
(2) الفخر الرّازيُّ، مفاتيح الغيب: 19/154.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

البلاغ والبيان:

البلاغ: يدُلُّ أصْل المادَّة على الوُصول إلى الشَّيءِ[1].

البلاغ الإيصال للرِّسالة والبيان الكشف عمّا فيها

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران: 20].

البيان: المعنى المحوريُّ للكلمة هوَ بُعْدُ الشَّيْءِ، وانْكِشافُه ووضوحه وظهوره. ومِنْه: بانَ الشَّيْءُ وَأبانَ إذا اتَّضَحَ وانْكَشَفَ. والْبَيْنُ الْفِراقُ[2]، ومِن شواهده قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: 138].

والفرق بين البلاغ والبيان فهو أنَّ البلاغ إيصال الرسالة، قال الجوهريُّ في الصِّحاح: والإبلاغ الإيصال، وكذلك التَّبليغ، والاسم منه البلاغ[3].

وأما البَيان فهو الإيضاح والكشف عن المعنى المقصود إظهارُه.

الإبلاغ والإيصال:

الإبلاغ أشدُّ اقتضاء للمُنْتهي إليه من الإيصال؛ لأنَّه يقتضي بلوغ فهمه وعقله كالبلاغة الَّتي تصل إلى القلب، وقيل: الإبلاغ اختصار الشَّيء على جهة الانتهاء ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التَّوبة: 6].

الإبلاغ أشدُّ اقتضاء للمُنْتهي إليه

اللُّب والعَقْل والنُّهية:

اللُّب: يدُلُّ أصْل الكلمة على النَّقاء والخُلوص، قال ابن فارس:

تشترك في كونها أسماء للعقل وتختلف في صفاتها

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بلغ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بين).
(3) الجوهريُّ، الصِّحاح: (بلغ).

"اللُّبُّ معروف، من كلِّ شيءٍ، وهو خالصه وما يُنتَقَى منه، ولذلك سُمِّيَ العقلُ لُبًّا. ورَجُلٌ لَبيب، أي عاقل. وخالِصُ كُلِّ شيءٍ لُبابُه"[1].

ولُبُّ كلِّ شيءٍ ولُبابُه خالِصُه وخِيارُه. ولُبُّ الرَّجُل ما جُعِل في قَلْبه مِن العَقْل. ولَبيبٌ عاقِلٌ ذو لُبٍّ مِن قوم أَلِبّاء[2].

وقال الرّاغب: "اللُّبُّ: العقل الخالص مِن الشَّوائب، وسُمِّي بذلك لِكَونه خالص ما في الإنسان مِن معانيه كاللُّباب واللُّبّ مِن الشَّيء، وقيل هو ما زكى مِن العَقْل فَكُلُّ لُبٍّ عَقْلٌ، وليس كُلُّ عَقْل لُبًّا، ولهذا عَلَّق اللّه تعالى الأحكام الَّتي لا يدركها إلا العقول الزكيَّة بأولي الألباب نحوقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: 269][3].

ومِن الملحوظ في الاستعمال القرآنيِّ للكلمة أنَّه لمْ يَرِد استعمالُ (اللُّبِّ) مُفردًا، وإنَّما اسْتُعْمِل جَمْعَ تكسير (الألباب)، كُلُّها في سِياق ثناء، وتقدير لأولي الألباب، ومِن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: 179]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: 190].

ومنها قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزُّمر: 9].

العَقْل: يَدُلُّ أصل مادة (عقل) على حُبسةٍ في الشَّيءِ أو ما يُقارب الحُبْسة، ومِن ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل[4].

و"العقل هو العِلْم بِصِفات الأشياء مِن حُسْنها وقُبْحها، وكمالها ونقصانها"[5].

وردت مادة (عقل) في القرآن الكريم في تسعة وأربعين موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: 44].

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (لبّ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (لبّ).
(3) الرّاغب، المفردات: (لبّ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عقل).
(5) أبو بكر الأزديُّ، جمهرة اللُّغة: 2/939.

وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: 164].

ومنها قوله تعالى: ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام: 151].

النُّهية: جَمْعها: النُّهى والنُّهية: العَقْل؛ لأنَّه يَنْهى صاحبَه عن ارتكاب القبيح، ويَنْتَهي إلى ما أُمِرَ به ولا يتجاوزه[1]. ويدُلُّ معناها المحوريُّ على الغايةِ والبُلوغ، والثَّبات[2]، وعلى تَحَبُّس الشَّيءِ الرَّقيق في مكانه وتوقُّفه فيه لا يتخطّاه[3].

قال السَّعْديُّ: "النُّهَى؛ أيْ: العقول السَّليمة، والفِطَرُ المُستقيمة، والألباب الَّتي تزجر أصحابَها عمّا لا ينبغي"[4].

وقد وَرَدَ لفظ النُّهى في مَوضعين اثنين في سورة طه، في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طه: 54]، وقال: ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ [طه: 128].

وفَرَّق الرّازيُّ بين النُّهَى والعَقْل، حيث جَعَل النُّهَى أعلى مرتبة مِن العقل، حيث قال: "والأقرب أن للنُّهية مَزِيَّة على العقل، والنُّهى لا يُقال إلا فيمن له عَقْل يَنْتَهي بهِ عن القبائح، كما أنَّ لِقَولنا: أولو العَزْم مَزِيَّة على أولو الحَزْم، فلذلك قال بعضهم: أهل الورع وأهل التَّقوى"[5].

فالعقل يمْنَعُ الشَّخصَ عن اقتراف المعاصي، وبالنُّهَى يَنْزَجر عن المُحرَّماتِ ويَنْتَهي عن المعاصي والآثام.

(1) السّمين الحلبيُّ، عُمدة الحُفّاظ: (نهي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نهي).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نهي).
(4) السّعديُّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 615.
(5) الفخر الرّازيُّ، مفاتيح الغيب: 22/436.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 25 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-22-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 25 : المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-22-7
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»